التصعيد «الإسرائيلي» على الحدود الشمالية...
رسالة دعم ورفع معنويات للإرهابيين المدحورين والمهزومين

جاك خزمو*

لم تتردد «إسرائيل» في الإعلان عن معلومة أو تسريبها، مفادها أن الطيران «الإسرائيلي» قصف مواقع للجيش العربي السوري على الحدود مع الجولان، واعترف الناطق العسكري السوري باستشهاد جندي وجرح سبعة في هذا الاعتداء الغاشم الذي ادعت «إسرائيل» أنه تمّ رداً على حادثة تفجير تعرّضت لها دورية عسكرية «إسرائيلية» أدت إلى إصابة أربعة جنود بجروح وأحدهم في خطر. وادعتٍ المصادر «الإسرائيلية» أن من وقف وراء هذا التفجير هو حزب الله، رداً على قيام الطائرات الحربية «الإسرائيلية» للمرة الأولى منذ وقف إطلاق النار في آب 2006، بقصف مواقع لحزب الله، أو شاحنات تنقل أسلحة متطورة للحزب داخل الأراضي اللبنانية.

للتصعيد «الإسرائيلي» على الحدود الشمالية مع لبنان وسورية أهدافه العديدة، وهو شئنا أم أبينا استغلال واستثمار للوضع الحالي في سورية، وتدخّل سافر لإبقاء الوضع غير مستقر، وتواصل سفك الدمار على الأراضي السورية.

خطوة خطيرة لصفقة مع المعارضة الخائنة

من أبرز أهداف هذا التصعيد توجيه رسالة إلى «المعارضة» السورية المرتمية في أحضان الخارج بأن «إسرائيل» جاهزة لدعمكم ومساندتكم إذا كان ذلك ثمنه إبقاء الجولان تحت السيادة «الإسرائيلية» وإلى الأبد. وحصل التصعيد عقب إدلاء أحد أعضاء الائتلاف المعارض المدعوم سعودياً بأن على «إسرائيل» دعمك المعارضة لإسقاط النظام والرئيس الدكتور بشار الأسد، مقابل التنازل عن الجولان. ورغم تنديد أعضاء الائتلاف بهذا التصريح إلّا أن ثمة تحركاً من قبل بعض أعضاء الائتلاف في هذا الشأن يتضمن اتصالات جدية سرية مع «إسرائيل». وهذان التصعيد والقصف لمواقع الجيش العربي السوري رسالة حسن نوايا لهؤلاء «المعارضين» الموالين لأعداء سورية.

تمت الغارة على مواقع الجيش السوري بعدما ألحق هذا الجيش هزيمة بالقوات الإرهابية المرتزقة الموجودة في جبال القلمون، وخاصة بعد تحرير بلدة يبرود وسيطرة الجيش السوري عليها كاملة وملاحقة فلول الإرهابيين إلى الأراضي اللبنانية أو إلى مناطق أخرى.

أي أن هذه الغارة، أو هذا التصعيد، كانا بمثابة دعم ومساندة ورفع معنويات لما يسمى بالمعارضة السورية، وقد يكونان خطوة أولى نحو صفقة قد توقع سراً بين هذه «المعارضة الخائنة و«إسرائيل».

دعم للموقف السعودي

التصعيد نفسه قد يكون دعماً سرياً للموقف السعودي ضد الدولة السورية، فالسعودية «مصرّة» على إسقاط الدولة السورية وتنّحي الرئيس الأسد عن الحكم، ولذلك توفر المال والسلاح للمعارضة وقوى الإرهاب في سورية، ممثلة بـ«الجبهة الإسلامية»، لكن مساعي السعودية ذهبت أدراج الرياح. كما أن هذا التصعيد يدعم تيّار الأمير بندر بن سلطان الذي فشل وأبعد عن مناصبه وأوقفت خططه لوضع أخرى جديدة. و«إسرائيل» على اتصال مع بندر، إذ تمت لقاءات عديدة معه في إيلات أو في الخارج، وكان على علاقة باللوبي الصهيوني في أميركا يوم كان سفيراً للسعودية في واشنطن لسنوات طوال. وتحاول «إسرائيل» دعم السعودية في تحديها الرئيس باراك أوباما، وتحرضها عليه بسبب الملفين السوري والإيراني، إذ إن «إسرائيل» تدعم السعودية في الملف السوري، في حين أن السعودية تدعم «إسرائيل» في موقفها حيال الملف النووي الإيراني. أي أن هذا التصعيد هو دعم ومساندة للموقف السعودي، خاصة أنه حصل قبل فترة قصيرة من زيارة الرئيس أوباما للسعودية في 27 آذار الفائت التقى خلالها كبار القادة السعوديين وبخاصة الملك عبدالله بن عبد العزيز.

ذريعة مشكوك فيها

ذريعة التصعيد وقصف مواقع للجيش السوري أنهما رد على حادثة التفجير والتعرض لدورية عسكرية «إسرائيلية»، وأن حزب الله يقف وراء هذه الحادثة بموافقةٍ الجيش السوري. لكنها ذريعة مشكوك فيها فحزب الله لم يصدر بياناً حول هذا الأمر، وهو ساكت، وتؤكد جهات عديدة معارضة له سواء على الساحة اللبنانية أو في الخارج أن حزب الله يقف خلف حادثة التفجير. وإضافة إلى ذلك فإن «إسرائيل» تشك حتى اللحظة في من قام بالتفجير، وتضع احتمال أن يكون حزب الله وراءه، والسؤال هل يمكن ان يرد حزب الله على قصف مواقع له بمثل هذا الحادث البسيط؟ أم أراد الحزب إيصال رسالة إلى «إسرائيل» مفادها أنها إذا استمرت في الاعتداء عليه، سيفتح معركة ومواجهة مع الجيش «الإسرائيلي» على جبهة الجولان، أي أن ثمة رسالة واضحة لـ«إسرائيل» بالكف عن ثل هذه الاعتداءات. وثمة احتمال آخر يقول إن هناك جهة موالية للخارج قامت بهذا العمل أو التفجير لجر «إسرائيل» للاعتداء على الجيش السوري من خلال منحها ذريعة كل شيء ممكن، خاصة في كواليس الأجهزة الأمنية المعادية لسورية.

جس نبض

قد يكون التصعيد لجس نبض سورية، ومعرفة رد فعلها المتوقع، وجس نبض حزب الله على مثل هذه الغارة العدوانية. وقد يكون جس نبض لآثار هذا التصعيد وتداعياته على «المعارضة» المهترئة، فهل ترحب به وهل تواصل اتصالاتها مع «إسرائيل». وإلى كونه جس نضب، قد يكون رسالة تحذير لسورية بضرورة منع المقاومين من فتح جبهة نضالية في الجولان، والقول إن «إسرائيل» ستضرب بقوة، ولن تهاب وقوع حرب! وقد يكون التصعيد إجراءً وقائياً لمنع وقوع حرب والحصول على مكاسب سياسيةٍ من دون مواجهة طاحنة، وقدٍ تكون «إسرائيل» مستعدة لها عسكرياً، لكنها غير مستعدة لها مالياً ونفسياً لأن نتائج هذه الحرب إذا اندلعت ستكون كارثية ومدمرة، وقد تؤدي إلى مواجهة واسعة في المنطقة كلها، أي قد تتحول إلى حرب إقليمية.

رفع معنويات الداخل «الإسرائيلي»

في «إسرائيل»، قلق وخشية من اندلاع حرب جديدة على الحدود الشمالية تكون نتائجها أكثر دماراً وسلباً من حرب تموز 2006، ولذلك تعمل القيادة العسكرية على رفع معنويات المواطن «الإسرائيلي» من خلال هذا التصعيد لتقول إنها على استعداد كامل للمواجهة المحتملة، كما تلعن عن إجراء مناورات عسكرية موسعة تشارك فيها مختلف الأسلحة، وتكشف وسائل الإعلام «الإسرائيلية» إقامة قرى مشابهة لقرى الجنوب اللبناني في منطقة جبال الخليل جنوب بلدة دورا استعداداً لأي مواجهة محتملة مع حزب الله، ما يعني أن الجيش «الإسرائيلي» أخذ الدروس والعبر من حرب تموز 2006. هذه الإعلانات عن مناورات تهدف إلى رفع المعنويات والوقاية من حرب قادمة، وهي رسالة للجانب الآخر بأن الجيش «الإسرائيلي» مستعد لأي معركة ضارية.

إثارة لبنان ضد حزب الله

لـ«إسرائيل» أهداف مهمة في زعزعة الاستقرار والسلم الأهلي في لبنان، من خلال تحريض القوى المعارضة لحزب الله التي تراهن على الموقف الأميركي وتحمّله مسؤولية عدم الاستقرار وما يتعرض له لبنان من تفجيرات إرهابية. تريد «إسرائيل» القول لخصوم حزب الله السياسيين بأن عليكم مواصلة تحريضكم ضد الحزب فـ«إسرائيل» عازمة على ضربه والقضاء عليه في أي فرصة سانحة، وها هي تعاقبه على تدخله في المعارك ضد الإرهاب في سورية، أي أن «إسرائيل» تحاول إثارة خصوم حزب الله أكثر فأكثر وإبلاغهم رسالة بأنها تعد العدة لضرب هذا الحزب بمختلف الطرق والوسائل.

إحراج حزب الله وسورية

قد يكون هناك هدف من وراء هذا التصعيد هو إحراج سورية من خلال المعرفة المسبقة بأن ليس هناك رد فوري على مثل هذه الاعتداءات، لأن الجيش السوري منشغل في مواجهة الإرهاب وقد تضحيات كبيرة في تصديه للإرهابيين وإلحاق الهزائم اليومية بهم.

وتريد «إسرائيل» إحراج حزب الله معتبرة أنه لن ينجر إلى معركة هو منهمك في التصدي للإرهاب إلى جانب الجيش العربي السوري، لذا لن يقوم بالرد لأن الوقت غير مناسب لدخول معركة، ويبقى بالتالي محرجاً أمام مناصريه إذ يظهر بأنه عاجز عن الرد على أي اعتداء «إسرائيلي». وهذا الإحراج يحرض خصومه أكثر للمطالبة بانسحابه من القتال في سورية، وعدم توريط لبنان في حرب جديدة، لذا نرى أن الأصوات ازدادت ارتفاعاً ضد «سلاح» حزب الله في الآونة الأخيرة.

رسالة إلى أوباما

قد يكون هناك هدف «إسرائيلي» من وراء التصعيد هو توجيه رسالة إلى أوباما مفادها أن معالجته للملف السوري فاشلة، وأن عليه أن يشاور «إسرائيل» في هذا الأمر لأنها معنية به، ونتائجه ستؤثر على «إسرائيل» نفسها، وأن على أوباما عدم اتخاذ قرارات لوحده، وأن «إسرائيل» قد تقوم بخربطة الأوراق والمخططات وهي قادرة على ذلك. ورغم أن هذا الهدف يبدو بعيد المنال ولا يؤثر في أوباما، فقد يكون هدفاً جانبياً أو ضمن الأهداف الأساسية المذكورة آنفاً.

هل تحققت الأهداف «الإسرائيلية» من هذا التصعيد؟

الجواب واضح: هذه الأهداف لم تتحقق لأن سورية وحزب الله يعرفان جيداً الأهداف «الإسرائيلية»، لذا سيفشلانها، لكنهما يدرسان معاً طبيعة الرد على مثل هذا التصعيد وفي الوقت المناسب.

الاستقرار في المنطقة لن يتحقق لأن «إسرائيل» هي سبب عدم الاستقرار من وراء ممارساتها وأطماعها ومخططاتها الخطيرة. ثمة أمر واحد خطير، إذا تواصلت مثل هذه الاستفزازات والإجراءات التصعيدية، لا يعلم أحد إن كانت سورية ستواصل سياسة ضبط النفس أو أنها ستضرب بقوة وإن أدى الأمر إلى اندلاع حرب إقليمية.

حسابات «إسرائيل» لن تكون دقيقة، لذلك عليها «الكف» عن اللعب بالنار التي قد تحرقها أيضاً. والتصعيد «الإسرائيلي» على المدى البعيد لن تكون نتائجه إيجابية، لذا فالمنطقة على كف عفريت، خاصة إذا تمادت «إسرائيل» أكثر فأكثر في التصعيد!

* الناشر ورئيس تحرير مجلة «البيادر» ـ القدس

العالم في مخاض لطالما تعسرت ولادته

■ بقلم ـ علي القحوم

شهدت المنطقة في الأعوام الثلاثة الماضية حالة من المد والجزر بين معسكرين، معسكر المقاومة ومعسكر الغرب بقيادة أميركا و«إسرائيل».

ترى ماذا يحصل اليوم في العالم؟! لا سيما أن هناك مخاضاً تعسرت ولادته. وهناك أيضاً أمور تسير وفق إرادة ربانية قلبت المعادلات والموازين. زيارات، اجتماعات، قمم، لقاءات، تهديدات، تطاولات، خروج على المألوف في السياسات الخارجية. تراجع كبير للمشروع التدميري التكفيري الأميركي في المنطقة من سورية إلى مصر إلى العراق إلى اليمن فبلدان أخرى.

انجازات كبيرة للجيش العربي السوري دفعت بقادة التكالب العالمي والاستعماري على سورية إلى التخبّط والدوران في حلقة مفرغة. فمثل هذا الإنجاز العسكري الكبير نصر استراتيجي يهز قادة الحرب والتكالب على سورية العروبة ويزرع الخوف والإحباط في عناصر الرجس والإجرام المسماة التكفيريين بكل فروعها وتسمياتها التي تعتبر أداة أميركية تلعب بها الاستخبارات الأجنبية وتوجهها أينما تريد وكيفما تريد. فالنصر المؤزر الذي حققه الجيش العربي السوري يمثل ضربة قاصمة في إحدى الفقرات المهمة من العمود الفقري للمشروع التكالبي والإجرامي التي تقوده أميركا و«إسرائيل» وعملائهما من الأدوات القذرة من بعض الأنظمة اللا عربية.

أوباما في جولة سريعة ختمها بزيارته للمملكة السعودية، وقيل إن غرض الزيارة إعادة الثقة بين واشنطن والرياض، وسبقها إعلان مقرن ولياً لولي العهد وملكاً في حدوث أي طارئ. هذه التحركات السريعة والغريبة في المملكة تنبئ بحالة تفكك وانهيار.

«إسرائيل» منزعجة من الإنجازات التي يحققها الجيش السوري وتقدم محور المقاومة، وتهدّد بضرب إيران وبحرب ضد حزب الله.

تركيا أيضاً منزعجة بانكسار وانهيار المشروع التكفيري في سورية، إذ هدّدت بتدخّل تحت ذريعة الحفاظ على ما أسموه بالمعلم العثماني. وفي الوقت نفسه ثمة حراك شعبي تركي يتحرك نحو التغيير ويرفض سياسة أردوغان، وهذا من مؤشرات فشل ما تبقى من المؤامرة.

قطر حالها غير بعيدة عن الانحصار والتراجع، في ظل الخلافات القائمة بينها وبين المملكة السعودية والتغيرات القريبة في النظام القطري.

روسيا تقف بحزم تام أمام الغرب قائلةً كفى تعاطياً بسياسة القطب الواحد، ولا بد من خلق توازنات للخروج من الأحادية. فما حصل أخيراً في أوكرانيا والقرم يثبت هذه المعادلة.

السيد حسن نصر الله حفظه الله يكشف المستور ويتوج الانتصار.

إيران تفاوض وتقايض هنا وهناك على عدة ملفات، فربحت الرهان وبات لها الثقل الأكبر في ما يجري اليوم في المنطقة.

السعودية تنحصر داخلياً وتتلافى الخلافات الداخلية بين الأسرة الحاكمة والمحاولة في الحد من صراع الأجنحة القائم اليوم في المملكة بين الجيلين الأول والثاني.

مصر بعد سقوط «الإخوان» والتغيرات في السياسة الخارجية.

اليمن والحراك الشعبي الكبير في التحرك لإسقاط حكومة الفساد والعمالة – مجلس الأمن يضع اليمن تحت البند السابع في محاولة كبح جماح الثورة الشعبية والضغط على الشعب اليمني في لعدم التحرك في إسقاط هذه الحكومة التي يتستر خلفها المستعمر الأميركي في تحد واضح لإرادة الشعب اليمني وتدخل سافر في الشؤون اليمنية والمزيد من التدخلات الأميركية.

متابع هذه التجاذبات كلها يؤكد أن أميركا تسعى هذه الأيام إلى لملمة أوراقها المبعثرة وإعادة تموضعها وتغيير ما قد حرق منها وإبقاء ما بقي من أوراق قد تستخدمها في المرحلة المقبلة.

الأيام المقبلة حبلى بمفاجآت ويعلم الله أين ستستقر الأمور.

alialsied@gmail.com

فوز أردوغان... وحماس المتحمّسة!

القدس المحتلة ـ راسم عبيدات

انتهت الانتخابات المحلية التركية بفوز واسع لأردوغان وحزبه (الحرية والعدالة)، رغم أن المعطيات والوقائع كلها تؤشر إلى أن هذا الحزب مرشح للتراجع بعشر نقاط أو أكثر عن الانتخابات السابقة، وليس تحقيق تقدم بعشر نقاط، فثمة فشل كبير في السياسة الداخلية والخارجية وكذلك سلسلة الفضائح والفساد المالي التي طاولت أركان حزب أردوغان وعائلته، ناهيك عن قمع الحريات وحجب مواقع التواصل الاجتماعي والتقييد الكبير للحريات الإعلامية، وكذلك حملات القمع والاعتقالات بالجملة، كلّها عوامل ومؤشرات قوية على تراجع حزب أردوغان لا على تقدمه. لكن رغم ذلك، استطاع الديكتاتور أردوغان المصاب بجنون العظمة، وبإعادة الخلافة المريضة على حساب الدم والجغرافيا العربية، أن يحقق نجاحاً مستحقاً على قوى المعارضة، وتحديداً على حزب الشعب الجمهوري وسواه من أطياف المعارضة. ويدلّ ذلك على أن قوى المعارضة المشتتة لا تمتلك رؤيا واستراتيجية واضحتين، إن على الصعيد الخارجي أو الداخلي، وغير قادرة على توظيف أخطاء أردوغان الكبيرة وفضائحه المالية وما قام به من عمليات قمع وتنكيل بالجملة في حق المتظاهرين والمعارضين ووصفهم بالخونة في حملته الانتخابية. ما يعني أن أردوغان نجح بسبب ضعف المعارضة وتفككّها، وعدم امتلاكها برامج ومقاربات اقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها واضحة لكيفية التعامل مع الوضع التركي، فضلاً عما شهدته الأحزاب القومية والعلمانية والليبرالية من ضعف وتراجع عربياً وإقليمياً لعبت دوراً مهماً في نصر أردوغان.

رغم ما حصل عربياً وإقليمياً من تراجعات وانحسارات لحركة «الإخوان المسلمين» بعد حالة الصعود والنهوض خلال الثلاثة أو أربعة عقود الماضية، التي بلغت ذروتها بتسلّم «الإخوان» السلطة في مصر، هذا الاستلام الذي أخرج الحركة من دائرة الإتكاء على خطاب المظلومية وبأنها حركة مقاومة وخادمة للشعب، وكشفها سريعاً أمام الجماهير أنها حركة تعمل وفق مصالحها وأجنداتها، وليس وفق مصلحة شعوبها وأهدافها، ولتخسر الحركة الحكم في أقل من عام واحد، والخسارة هذه لا تعني أن الحركة انتهت أو خرجت من دائرة الفعل والعمل والحضور السياسي، فللإسلام السياسي بيئة حاضنة عربياً وإسلامياً وبنية تحتية وتنظيمية ودينية وشبكات واسعة من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، ويملك صنابير مال مفتوحة. وبالتالي فإن المواجهة مع تلك الجماعة لا تتم بالضرورة عبر البوابة الأمنية من خلال الاعتقالات أو قرارات الإعدام بالجملة التي أصدرها القضاء المصري في حق أعضاء «الجماعة»، بل عبر إجراءات وتشريعات اقتصادية واجتماعية ناجحة، مترافقة مع إطلاق الحريات الديمقراطية والسياسية ومواقف قومية وعروبية حقيقية تشكل روافع حقيقية للمشروع القومي العربي.

في الإطار الآخر، واضح أن حركة حماس تكرر ارتكاب الأخطاء نفسها وعلى نحو أشد خطورة، فهي لا تجلب الضرر لنفسها فحسب، بل ينعكس الأمر على الشعب الفلسطيني عامة، فعندما فاز مرسي بالانتخابات المصرية هللت حماس وطبلت لانتصار «المشروع الإسلامي»، وأضحى «مرسي» بمثابة الخليفة المنتظر، ووضعت كل بيضها في سلة مرسي، وبعد سقوط «الخليفة مرسي» المدوي وقفت حماس المتماثلة إيديولوجيا وفكرياً والنابتة من رحم الجماعة مع «الإخوان» بـ«الباع والذراع» واستعدت النظام الجديد في مصر من دون أي اعتبار لقضية الجغرافيا وما يستتبع تلك المواقف من انعكاسات على الشعب الفلسطيني، إذ دفع شعبنا ويدفعه في قطاع غزة ثمن أخطاء حماس، وأقدم النظام المصري على إجراءات غير مسبوقة من تدمير للأنفاق وإغلاق معبر رفح وفرض إجراءات وقيود على سفر الفلسطينيين من القطاع إلى الخارج، وبرر ذلك ليس بتدخل حماس في الشأن الداخلي المصري فحسب، وهذه حقيقة لا تستطيع حماس نكرانها، بل بحماية الأمن القومي المصري، خاصة بما يحدث في سيناء التي أصبحت بؤرة للجماعات الإرهابية والمتطرفة والمغذية إقليمياً ودولياً والتي تعبث بالأمن القومي المصري وتهدد الاستقرار.

اليوم، بعد فوز الدكتاتور أردوغان، بدأت حماس حملة تطبيل وتزمير وأعلنت حالة النفير العام ونصبت خيام الفرح ودقت الطبول وسيرت المسيرات احتفالاً وابتهاجاً بـ«المشروع الإسلامي» وقائده أردوغان «الخليفة المنتظر»، الخليفة هذا «نصير غزة وفلسطين والإسلام والعروبة»، ولا أعرف أي غباء سياسي ترتكبه هذه الحركة؟ وعن أي قائد إسلامي ومشروع إسلامي تتحدث؟ فأنا لا أعرف كيف يكون مشروعاً إسلامياً في كنف عضوية الخليفة «أردوغان» في حلف الناتو وما يقدمه من خدمات إلى أميركا والغرب و«إسرائيل» في إطار تلك العضوية؟ وهل يريد مصلحة العرب والمسلمين، هو الساعي إلى شن حرب على سورية خدمة للأطلسي وأميركا، بحسب الفيديو المسرّب لاجتماع أركان قيادته، وإرضاء لنزواته وجنون عظمته؟ وهل الغارق في الفساد من رأسه حتى أخمص قدميه هو وعائلته وأركان حزبه هو نموذج للشفافية؟ وهل من يمارس القمع والتضيق على الحريات وكمّ الأفواه وتخوين المعارضين هو مثال للديمقراطية والعدالة؟

أي قائد هذا وأي مشروع إسلامي تتحدث عنه حماس؟ على حماس أن تراجع سياساتها ومواقفها ولا تستمر في جلب المصائب والكوارث لشعبنا، فوقوفها الأعمى إلى جانب «الإخوان» ومرسي جلب على شعبنا الكوارث في القطاع، ودعمها وابتهاجها بانتصار الخليفة أردوغان، الديكتاتور والطاغية سيجلب علينا وعلى شعبنا في القطاع المزيد من الكوارث والمصائب، فهل تتعظ حماس وتتخلى عن سياساتها المدمرة؟

Quds.45@gmail.com

العرب يجزّئون قضايا الأمة الواحدة

د. عزمي منصور

أصبح العرب منذ نكبة فلسطين عام 1948 واغتصاب اليهود معظم أرضها وتهجير غالبية شعبها وإقامة الكيان الصهيوني، أمام تحد كبير يهدد وجودهم ومستقبلهم، بالإضافة الى تحدي التجزئة الذي فرضته اتفاقية اتفاقية سايكس– بيكو الاستعمارية، والتي قاومها شعبنا في كل بلاد الشام، مثلما قاوم مشروع الوطن القومي اليهودي عبر العديد من الهبّات والانتفاضات والثورات المسلحة، فيما توالت الهجرات اليهودية غير الشرعية الى فلسطين بدعم من دولة الانتداب البريطاني.

منذ عام النكبة 1948، أضحت المسألة الفلسطينية أهم القضايا التي تواجه الأمة، بل وقضية القضايا الى يومنا هذا، ويترتب على حل هذه المسألة مستقبل وحدة الأمة ونهضتها وتنميتها، ومساهمتها في ركب الحضارة العالمية.

منذ ذلك التاريخ لم تكن استجابة الدول العربية بحجم التحدي، فهناك من تاجر بالقضية وبنى وجوده على هذه النكبة والهجرة، وهناك من استسلم للأمر الواقع المرفوض، ونأى بنفسه عن الصراع، وهناك من استشعر الخطر اليهودي المقبل، وبات حريصاً على الإعداد والمواجهة.

عبر عقود من الزمن والاستنزاف لدى البعض والتضحيات لدى البعض الآخر، والاستثمار من قبل بعض الدول العربية تحت شعارات المواجهة أو الإفادة من طول ساعات الاحتضار، أو التحالف السري مع هذا العدو، لم تبق القضية الفلسطينية محور القضايا على المستوى الرسمي لدى بعض الدول العربية وعلى مستوى بعض النخب الانعزالية.

منذ نهايات القرن العشرين بدأت تطالعنا بعض النخب بقضايا مركزية جديدة لأقطارها تحتل الأولوية لديها، فهناك لدى البعض «قضية لبنانية» تقوم على مسالمة الكيان الصهيوني واعتباره جاراً وعدم الانحراط في الصراع معه، بل ومحاربة العنصر الفلسطيني المطالب بحقه كونه يعرّض الكيان اللبناني لتبعات، يرى أنه في غنى عنها، رافضاً أيضاً منطق القوى اللبنانية التي ترى في الوجود الصهيوني على أرض فلسطين خطراً على وجودها بحكم طبيعة هذا الكيان العنصري القائم على الاغتصاب، ودوره الوظيفي في إبقاء المنطقة في حالة من التخلف والتبعية، وتحت شعارات الحرية والسيادة والاستقلال وبناء الدولة، أصبح الموضوع الفلسطيني عقبة كأداء، بينما مهادنة العدو والاستقواء به أحيانا، ومسالمته هو الطريق للحرية والسيادة والاستقلال.

في الأردن، رغم انصهار الشعب الفلسطيني والاردني في بوتقة واحدة منذ عقود، قانونياً وشعبياً، ورغم النضال المشترك والتضحيات الجسام التي قدمها الشعب العربي الأردني من مختلف الأصول والمنابت في وجه العدو الصهيوني، يطالعنا في السنوات الأخيرة من أصبح لديهم «قضية أردنية» تتمحور في البحث عن هوية قطرية انعزالية، وترى في الوجود الفلسطيني المنصهر أردنياً وفلسطينياً، تهديداً لهويتها الفرعية، وبدلاً من أن ترى في الوجود والاحتلال اليهوديين خطراً على وجودها وكينونتها، ترى في الوجود الفلسطيني تحديداً منافسا لمنافعها، فتريد التخلص منه عبر شعارات وعناوين بينها «دسترة فك الارتباط حيناً» وخطر الوطن البديل حيناً آخر، وتحديد ما هو أردني أيضاً بتاريخ معين، متناسين الجغرافيا والتاريخ ووحدة المجتمع والمصير المشترك، لمصلحة جغرافيا سايكس بيكو وتاريخ مبتور من الزمن والاجتماع البشري.

على صعيد آخر، هناك من يتناغم مع هذا الطرح من ذوي الأصول الفلسطينية، الذين باتت قضيتهم مجرد «حقوق منقوصة»، وأمست الأوليات مقلوبة لدى الطرفين، انطلاقاً من هويات فرعية ضيقة، كأن الاردن أو لبنان أو فلسطين ليست جزءاً من بلاد الشام، بحسب حقائق التاريخ والجغرافيا، أو ليست جزءاً من العالم العربي، بل جزراً معزولة أو كانتونات تبحث عن هوية، أو كأن المشكلة في تحديد هويات على مرجعية سايكس بيكو وليس هوية واحدة مهدد وجودها ومستقبلها من قبل عدو غاشم يريد تغيير ملامح التاريخ والجغرافيا تحت مسمى شرق أوسط جديد.

في حين يتجه العالم نحو الوحدة او الاتحاد او التعاون والتنسيق، يطالعنا البعض باسم الديمقراطية والاستقلال والحفاظ على الهوية بالتقوقع والانعزال، واعتبار القضية الفلسطينية نزاعاً فلسطينياً ـ «إسرائيلياً»، وليس صراعاً وجودياً يهدّدنا جميعاً، في أرضنا وسمائنا ومياهنا وثقافتنا وهويتنا ومستقبلنا.

إن مأساة فلسطين تتكرس ليس بالنكبة وتبعاتها فحسب، انما بالعقليات الضيقة والمريضة، بثقافة الانعزال والتكفير والانهزام التي تقلب سلم الأوليات وتلغي أولى الأوليات، فيما تتجلى ضرورة رص الصفوف وتمتين الوحدة الوطنية والاجتماعية وتغليب ثقافة وروح المقاومة وتجليات هذه الثقافة تعيد للأمة روحها وحيويتها لتكون قادرة على درء العدوان، عبر القوة المادية والمعنوية، فهي القول الفصل في إثبات الحق القومي أو نكرانه، وهي القول الفصل في الحفاظ على الهوية الجامعة او إلغائها وضياعها.